

فضائل القرآن

جمع القرآن .

قال البخاري : حدثنا موسى بن اسماعيل عن إبراهيم بن سعد ثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت قال : أرسل إلى أبوبكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبوبكر : إن عمر بن الخطاب أتاني فقال : إن القتل قد استحر بقراء القرآن وإنني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ؟ قال عمر : هذا والله خير ؟ فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لي ذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد : قال أبوبكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان علي أثقل مما أمرني به من جمع القرآن قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ؟ قال زيد : هو والله خير فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبع القرآن أجمعه من العسب والخاف وصدور الرجال ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره { لقد جاءكم رسول من أنفسكم } حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم .

وقد روى البخاري هذا فيغير موضع من كتابه ورواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به وهذا من أحسن وأجل وأعظم ما فعله الصديق رضي الله عنه فإنه أقامه الله تعالى بعد النبي A مقاما لا ينبغي لأحد من بعده : قاتل الأعداء من مانعي الزكاة والمرتدين والفرس والروم ونفذ الجيوش وبعث البعث والسرايا ورد الأمر إلى نصابه بعد الخوف من تفرقه وذهابه وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارئ من حفظه كله وكان هذا من سر قوله تعالى : { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } .

فجمع الصديق الخير وكف الشرور رضي الله عنه وأرضاه ولهذا روى عن غير واحد من الأئمة منهم وكيع وابن زيد وقبيصة عن سفيان الثوري عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن عبد خير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : أعظم الناس أجرا في المصاحف أبوبكر إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين هذا إسناد صحيح .

وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف : حدثنا هارون بن إسحاق ثنا عبدة عن هشام عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي جمع القرآن بعد النبي A يقول : ختمه صحيح أيضا

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء أى اشتد القتل وكثر فى قراء القرآن يوم اليمامة يعنى يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه بنى حنيفة بأرض اليمامة فى حديقة الموت .

وذلك أن مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة ألف فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد فى قريب من ثلاثة عشر ألفا فالتقوا معهم فانكشف الجيش الإسلامى لكثرة من فيه من الأعراب فنادى القراء من كبار الصحابة : يا خالد خلصنا يقولون ميزنا من هؤلاء الأعراب فتميزوا منهم وانفردوا فكانوا قريبا من ثلاثة آلاف ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالا شديدا وجعلوا يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة فلم يزل ذلك دأبهم حتى فتح الله عليهم وولى جيش الكفار فارا واتبعتهم السيوف المسلمة فى أقفيتهم قتل وأسرا وقتل الله مسيلمة وفرق شمل أصحابه ثم رجعوا إلى الإسلام .

ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضى الله عنهم فلهذا أشار عمر على الصديق بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك فى مواطن القتال فإذا كتب وحفظ صار محفوظا فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته فراجع الصديق قليلا ليستثبت الأمر ثم وافقه وكذلك راجعهما زيد بن ثابت فى ذلك ثم صار إلى ما رأياه رضى الله عنهم أجمعين وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصارى ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود : حدثنا يزيد بن مبارك عن فضالة عن الحسن أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة فقال : إنا الله ثم أمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه فى المصحف وهذا منقطع فإن الحسن لم يدرك عمر ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع ولهذا كان مهيمنا على حفظه وجمعه كما رواه ابن أبى داود حيث قال : ثنا أبو الطاهر ثنا ابن وهب ثنا عمر بن طلحة الليثى عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن عمر لما جمع القرآن كان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان وذلك عن أمر الصديق له فى ذلك كما قال أبو بكر بن أبى داود : ثنا أبو الطاهر أنا ابن وهب .

[أخبرنى ابن أبى الزناد عن هشام ابن عروة عن أبيه قال : لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق أبو بكر رضى الله عنه أن يضيع فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت : فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه] منقطع حسن .

ولهذا قال زيد بن ثابت : ووجدت آخر سورة التوبة - يعنى قوله تعالى : { لقد جاءكم رسول من أنفسكم } إلى آخر الآيتين - مع أبى خزيمة الأنصارى [وفى رواية مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله A شهادته بشهادتين لم أجدها مع غيره] فكتبوها عنه لأنه جعل رسول الله A شهادته بشهادتين فى قصة الفرس التى ابتاعها رسول الله A .

من الأعرابى فأنكر الأعرابى البيع فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول الله A فأمضى شهادته وقبض

الفرس من الأعرابي .

والحديث رواه أهل السنن وهو مشهور .

وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية أن أبي بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت وقد روى ابن وهب عن عمر بن طلحة الليثي عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن عثمان شهد بذلك أيضا .

وأما قول زيد بن ثابت : فتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال وفي رواية : من العسب والرقاع والاضلاع وفي رواية : من الاكتاف والأقتاب وصدور الرجال أما العسب فجمع عسيب قال أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري وهو من السعف فوق الكرب لم ينبت عليه الخوص وما نبت عليه الخوص فهو السعف واللخاف جمع لخفة وهي القطعة من الحجارة مستدقة كما نوا يكتبون عليها وعلى العسب وغير ذلك مما يمكنهم الكتابة عليه بما يناسب ما يسمعون من القرآن من رسول الله ﷺ .

ومنها من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه فكان يحفظه فتلقيه زيد هذا من عسبه وهذا من لخافه ومن صدر هذا أي من حفظه وكانوا أحرض شيء على أداء الأمانات وهذا من أعظم الأمانة لأن الرسول ﷺ أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده كما قال تعالى : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } ففعل صلوات الله ﷺ وسلامه عليه .

ولهذا سألهم في حجة الوداع يوم عرفة على رؤوس الأشهاد والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين فقال : [إنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون] قالوا : نشهد أنك بلغت وأدیت ونصحت فجعل يشير بأصبعه إلى السماء عليهم ويقول : [اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد] رواه مسلم بن جابر وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال : [بلغوا عني ولو آية] يعني ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة فليؤدها إلى من وراءه فبلغوا عنه أمرهم به فأدوا القرآن قرآنا والسنة سنة لم يلبسوا هذا بهذا .

ولهذا قال عليه السلام : [من كتب عني سوى القرآن فليمحاه] أي لئلا يختلط بالقرآن وليس معناه أن لا يحفظوا السنة ويرووها وإنما أعلم فلهم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن ما أداه الرسول ﷺ إليهم - إلا وقد بلغوه إلينا والحمد والمنة .

فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله ﷻ في الصحف لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته ثم أخذها عمر بعده فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته وكانت عند أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كما سنذكره إن شاء الله ﷻ